13)

تعليم المتعلم

طريق التعلم

للشيخ العالم العامل الامام برهان

الاسلام الزرنوجى تلميذ صاحب

الهداية نفعنا الله

بهم آمين

(تباع بالمكتبة المحمودية)

لصاحبها ومديرها: «محمود على صبيح»

بميدان الجامع الازهر الشريف بمصر

(المكتبة والمطبعة المحمودية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى فضل بنى آدم بالعلم والعمل على جميع العالم * والصلاة والسلام على محمد سيد العرب والعجم * وعلى آله وأصحابه ينابيع العلوم والحكم * (و بعد) فلما رأيت كثيرا من طلاب العلم فى زماننا يجدون الى العلم ولا يصلون * ومن منافعه وثمراته وهى العمل به والنشر يحرمون * لما أنهم أخطؤا طرائقه وتركوا شرائطه * وكل من أخطأ الطريق ضل * ولا ينال المقصود قل أوجل * أردت وأحببت أن أبين لهم طريق التعلم * على ما رأيت فى الكتب وسمعت من أساتيذى أولى العلم والحكم * رجاء الدعاء لى من الراغبين فيه المخلصين * بالفوز والخلاص فى يوم الدين * بعد ما استخرت الله تعالى فيه وسميته تعليم المتعلم طريق التعلم * وجعلته فصولا

(فصل) فى ماهية العلم والفقه وفضله (فصل) فى النية فى حال التعلم (فصل) فى اختيار العلم والاستاذ والشريك والثبات (فصل) فى تعظيم العلم وأهله (فصل) فى الجد والمواظبة والهمة (فصل) فى بداية السبق وقدره وترتيبه (فصل) فى التوكل (فصل) فى وقت التحصيل (فصل) فى الشفقة والنصيحة (فصل) فى لاستفادة (فصل) فى الورع حال التعلم (فصل) فيما يورث الحفظ وفيما يورث النسيان (فصل) فيما يجلب الرزق وما يمنعه وما يزيد فى العمر وما ينقص وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

﴿فصل فى ماهية العلم والفقه وفضله﴾

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة * اعلم أنه لا يفترض على كل مسلم ومسلمة طلب كل علم وانما يفترض عليه طلب علم الحال كما يقال أفضل العلم علم الحال وأفضل العمل حفظ الحال و يفترض على المسلم طلب علم ما يقع له فى حاله فى أى حال كان فانه لا بد له من الصلاة فيفترض عليه علم ما يقع له فى صلاته بقدر ما يؤدى به فرض الصلاة ويجب عليه علم ما يقع له بقدر ما يؤدى به الواجب لان ما يتوسل به الى اقامة الفرض يكون فرضا وما يتوسل به الى اقامة الواجب يكون واجبا وكذلك فى الصوم والزكاة ان كان له مال والحج ان وجب عليه وكذلك فى البيوع ان كان يتجر (قيل) لمحمد بن الحسن رحمه الله تعالى ألا تصنف كتابا فى الزهد قال صنفت كتابا فى البيوع يعنى الزاهد من يتحرز عن الشبهات والمكروهات فى التجارات وكذلك يجب فى سائر المعاملات والحرف وكل من اشتغل بشىء منها يفترض عليه علم التحرز عن الحرام فيه وكذلك يفترض عليه علم احوال القلب من التوكل والانابة والخشية والرضا فانه واقع فى جميع الأحوال وشرف العلم لا يخفى على احد اذ هو مختص بالانسانية لأن جميع الخصال سوى العلم يشترك فيها الانسان وسائر الحيوانات كالشجاعة والجراءة والقوة والجود والشفقة وغيرها سوى العلم وبه أظهر الله تعالى فضل آدم عليه الصلاة والسلام على الملائكة وأمرهم بالسجود له وانما شرف العلم لكونه وسيلة الى التقوى التى يستحق بها الكرامة عند الله تعالى والسعادة الابدية كما قيل لمحمد بن الحسن ابن عبد الله رحمة الله عليه شعر

تعلم فان العلم زين لاهله * وفضل وعنوان لكل المحامد
وكن مستفيدا كل يوم زيادة * من العلم واسبح فى بحور الفوائد
تفقه فان الفقه أفضل قائد * الى البر والتقوى واعدل قاصد
هو العلم الهادى الى سنن الهدى * هو الحصن ينجى من جميع الشدائد
فان فقيها واحدا متورعا * أشد على الشيطان من ألف عابد

وكذلك فى سائر الاخلاق نحو الجود والبخل والجبن والجراءة والتكبر والتواضع والعفة والاسراف والتقتير وغيرها فان الكبر والبخل والجبن والاسراف حرام ولا يمكن التحرز عنها الا بعلمها وعلم ما يضادها فيفترض على كل انسان علمها وقد صنف السيد الامام الأجل الشهيد ناصر الدين أبو القاسم كتابا فى الاخلاق ونعم ما صنف فيجب على كل مسلم حفظها واما حفظ ما يقع فى بعض الاحايين ففرض على سبيل الكفاية اذا قام به البعض فى بلدة سقط عن الباقين فان لم يكن فى البلدة من يقوم به اشتركوا جميعا فى المأثم فيجب على الامام أن يأمرهم بذلك ويجبر أهل البلدة على ذلك فقيل بان علم ما يقع على نفسه فى جميع الاحوال بمنزلة الطعام لا بد لكل واحد من ذلك وعلم ما يقع فى بعض الاحايين بمنزلة الدواء يحتاج اليه فى بعض الاوقات وعلم النجوم بمنزلة المرض فتعلمه حرام لانه يضر ولا ينفع والهرب من قضاء الله تعالى وقدره غير ممكن فينبغى لكل مسلم ان يشتغل فى جميع اوقاته بذكر الله تعالى والدعاء والتضرع وقراءة القرآن والصدقات الدافعة للبلاء ويسأل الله تعالى العفو والعافية فى الدنيا والآخرة ليصونه الله تعالى عن البلاء والآفات فان من رزق الدعاء لم يحرم الاجابة فان كان البلاء مقدرا يصيبه لا محالة ولكن ييسره الله عليه ويرزقه الصبر ببركة الدعاء اللهم الا اذا تعلم من النجوم قدر ما يعرف به القبلة واوقات الصلاة فيجوز ذلك واما تعلم علم الطب فيجوز لانه سبب من الاسباب فيجوز تعلمه كسائر الاسباب وقد تداوى النبى عليه الصلاة والسلام وقد حكى عن الشافعى رحمة الله عليه انه قال العلم علمان علم الفقه للاديان وعلم الطب للابدان وما وراء ذلك بلغة مجلس * واما تفسير العلم فهو صفة يتجلى بها لمن قامت هى به المذكور كما هو والفقه معرفة دقائق العلم * قال ابو حنيفة رحمة الله تعالى عليه الفقه معرفة النفس ما لها وما عليها وقال ما العلم الا للعمل به والعمل به ترك العاجل للآجل فينبغى للانسان أن لا يغفل عن نفسه وما ينفعها وما يضرها فى أولاها وأخراها فيستجلب ما ينفعها ويجتنب ما يضرها كيلا

يكون عقله وعلمه حجة عليه فيزداد عقوبة نعوذ بالله من سخطه وعقابه وقد ورد فى مناقب العلم وفضائله آيات وأخبار صحيحة مشهورة لم نشتغل بذكرها كيلا يطول الكتاب

﴿فصل فى النية فى حال التعلم﴾

ثم لا بد له من النية فى زمان تعلم العلم اذ النية هى الأصل فى جميع الأحوال لقوله عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بالنيات حديث صحيح وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كم من عمل يتصور بصورة أعمال الدنيا ويصير بحسن النية من أعمال الآخرة وكم من عمل يتصور بصورة أعمال الآخرة ثم يصير من أعمال الدنيا بسوء النية وينبغى أن ينوى المتعلم بطلب العلم رضا الله تعالى والدار الآخرة وزالة الجهل عن نفسه وعن سائر الجهال واحياء الدين وابقاء الاسلام فان بقاء الاسلام بالعلم ولا يصح الزهد والتقوى مع الجهل وأنشدنى الاستاذ الشيخ الامام الاجل برهان الدين صاحب الهداية شعرا لبعضهم

فساد كبير عالم متهتك * وأكبر منه جاهل متنسك
هما فتنة فى العالمين عظيمة * لمن بهما فى دينه يتمسك

وينوى به الشكر على نعمة العقل وصحة البدن ولا ينوى به اقبال الناس اليه ولا استجلاب حطام الدنيا والكرامة عند السلطان وغيره قال محمد بن الحسن رحمه الله تعالى لو كان الناس كلهم عبيدى لاعتقتهم وتبرأت عن ولائهم ومن وجد لذة العلم والعمل به قلما يرغب فيما عند الناس أنشدنا الشيخ الامام الاجل الاستاذ قوام الدين حماد بن ابراهيم بن اسمعيل الصفار الانصارى املاء لابى حنيفة رحمه الله تعالى شعرا

من طلب العلم للمعاد * فاز بفضل من الرشاد
فيا لخسران طالبيه * لنيل فضل من العباد

اللهم الا اذا طلب الجاه للامر بالمعروف والنهى عن المنكر وتنفيذ الحق واعزاز الدين لا لنفسه وهواه فيجوز ذلك بقدر ما يقيم به الامر بالمعروف والنهى عن

المنكرو ينبغي لطالب العلم أن يتفكر فى ذلك فانه يتعلم العلم بجهد كثير فلا يصرفه الى الدنيا الحقيرة القليلة الفانية شعر

هى الدنيا أقل من القليل * وعاشقها أذل من الذليل
تصم بسحرها قوما وتعمى * فهم متحيرون بلا دليل

وينبغى لطالب العلم أن لا يذل نفسه بالطمع فى غير مطمع و يتحرز عما فيه مذلة العلم وأهله و يكون متواضعا والتواضع بين التكبر والمذلة والعفة كذلك و يعرف ذلك فى كتاب الاخلاق أنشد الشيخ الامام الاجل الاستاذ ركن الاسلام المعروف بالاديب المختار رحمه الله شعرا لنفسه

ان التواضع من خصال المتقى * وبه التقى الى المعالى يرتقى
ومن العجائب عجب من هو جاهل * فى حاله أهو السعيد أم الشقى
ام كيف يختم عمره اوروحه * يوم النوى متسفل اومرتقي
والكبرياء لربنا صفة به * مخصوصة فتجنبها واتقى

قال ابو حنيفة رحمه الله لاصحابه عظموا عمائمكم ووسعوا اكمامكم وانما قال ذلك لئلا يستخف بالعلم واهله و ينبغى لطالب العلم ان يحصل كتاب الوصية التى كتبها ابو حنيفة ليوسف بن خالد السمتي رحمة الله عليه عند الرجوع الى اهله يجده من يطلبه وكان استاذنا شيخ الاسلام برهان الائمة على بن ابى بكر قدس الله روحه العزيز امرنى بكتابته عند الرجوع الى بلدى وكتبته ولا بد للمدرس والمفتي فى معاملات الناس منه

﴿فصل فى اختيار العلم والاستاذ والشريك والثبات﴾

ينبغى لطالب العلم ان يختار من كل علم احسنه وما يحتاج اليه فى امر دينه فى الحال ثم ما يحتاج اليه فى المآل و يقدم علم التوحيد و يعرف الله تعالى بالدليل فان ايمان المقلد وان كان صحيحا عندنا لكن يكون آثما بترك الاستدلال و يختار العتيق دون المحدثات قالوا عليكم بالعتيق واياكم والمحدثات واياك ان تشتغل بهذا الجدل الذى ظهر بعد انقراض الاكابر من العلماء فانه يبعد الطالب عن الفقه

و يضيع العمر و يورث الوحشة والعداوة وهو من اشراط الساعة وارتفاع العلم والفقه كذا ورد فى الحديث وأما اختيار الاستاذ فينبغى أن يختار الاعلم والاورع والاسن كما اختار ابو حنيفة حماد بن أبى سليمان رحمه الله بعد التأمل والتفكر وقال وجدته شيخا وقورا حليما صبورا وقال ثبت عند حماد بن أبى سليمان فنبت قال رحمه الله وسمعت حكيما من حكماء سمرقند قال ان واحدا من طلبة العلم شاورنى فى طلب العلم وكان عزمه علي الذهاب الى بخارى لطلب العلم وهكذا ينبغى أن يشاور فى كل أمر فان الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالمشاورة فى كل الامور و لم يكن احد افطن منه ومع ذلك امر بالمشاورة وكان يشاور اصحابه فى جميع الامور حتى حوائج البيت قال على كرم الله وجهه ما هلك امرؤ عن مشورة (قيل) رجل و نصف رجل ولا شيء فالرجل من له راى صائب و يشاور و نصف رجل من له راى صائب ولكن لا يشاور او يشاور ولكن لا راى له ولا شيء من لا راى له ولا يشاور * قال جعفر الصادق رضى الله عنه لسفيا الثورى شاور فى امرك الذين يخشون الله تعالى * وطلب العلم من اعلى الامور واصعبها فكانت المشاورة فيه اهم واوجب قال الحكيم اذا ذهبت الى بخارى لا تعجل فى الاختلاف الى الائمة وامكث شهرين حتي تتامل وتختار استاذا فانك اذا ذهبت الى عالم و بدات بالسبق عنده ربما لا يعجبك درسه فتتركه وتذهب الى آخر فلا يبارك لك فى التعلم فتأمل شهرين فى اختيار الاستاذ وشاور حتي لا تحتاج الى تركه والاعراض عنه فتثبت عنده حتي يكون تعلمك مباركا وتنتفع بعلمك كثيرا واعلم بان الصبر والثبات اصل كبير فى جميع الامور ولكنه عزيز كما قيل

كل الى شأو العلا حركات * ولكن عزيز فى الرجال ثبات

قيل الشجاعة صبر ساعة فينبغى لطالب العلم ان يثبت و يصبر على استاذ وعلى كتاب حتي لا يتركه ابتر وعلى فن حتى لا يشتغل بفن آخر قبل ان يتقن الاول وعلى بلد حتي لا ينتقل لى بلد آخر من غير ضرورة فان ذلك كله يفرق الامور و يشغل القلب و يضيع الاوقات و يؤذى المعلم و ينبغى ان يصبر عما تريده نفسه

وهواه قال الشاعر

ان الهوى لهو الهوان بعينه * وصريع كل هوى صريع هوان

ويصبر على المحن والبليات (قيل) خزائن المنن على قناطر المحن وانشدت وقيل انه لعلى بن ابي طالب رضى الله تعالى عنه

الا لاتنال العلم الا بستة * سانبيك عن مجموعها ببيان

ذكاء وحرص واصطبار وبلغة * وارشاد استاذ وطول زمان

واما اختيار الشريك فينبغى ان يختار المجد والورع وصاحب الطبع المستقيم والمتفهم ويفر من الكسلان والمعطل والمكثار والمفسد والفتان قيل

عن المرء لا تسأل وابصر قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى

فان كان ذاشر فجانبه سرعة * وان كان ذاخير فقارنه تهتدى

(وانشدت)

لا تصحب الكسلان فى حالاته * كم صالح بفساد آخر يفسد

عدوى البليد الى الجليد سريعة * كالجمر يوضع فى الرماد فيخمد

وقال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على فطرة الاسلام الى ان ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه الحديث ويقال فى الحكمة بالفارسية

يار بد بدتر بوداز مار بد * بحق ذات باك الله الصمد

يار بد آرد تراسوى جحيم * يار نيكو كيرتا يابى نعيم

(وقيل) ان كنت تبغى العلم من اهله * او شاهدا يخبر عن غائب

فاعتبر الارض باسمائها * واعتبر الصاحب بالصاحب

* فصل فى تعظيم العلم واهله *

اعلم بأن طالب العلم لا ينال العلم ولا ينتفع به الا بتعظيم العلم واهله وتعظيم الاستاذ وتوقيره (قيل) ما وصل من وصل الا بالحرمة وما سقط من سقط الا بترك الحرمة والتعظيم (قيل) الحرمة خير من الطاعة الا يرى ان الانسان لا يكفر بالمعصية وانما يكفر باستخفافها وبترك الحرمة ومن تعظيم العلم تعظيم المعلم قال على كرم الله وجهه

أنا عبد من علمنى حرفا واحدا ان شاء باع وان شاء اعتق وان شاء استرق وقد أنشدت فى ذلك شعرا

رأيت أحق الحق حق العلم * وأوجبه حفظا على كل مسلم

لقد حق أن يهدى اليه كرامة * لتعليم حرف واحد الف درهم

فان من علمك حرفا مما تحتاج اليه فى الدين فهو أبوك فى الدين وكان استاذنا الشيخ الامام سديد الدين الشيرازى رحمه الله تعالى يقول قال مشايخنا رحمهم الله تعالى من أراد أن يكون ابنه عالما ينبغى أن يراعى الغرباء من الفقهاء ويكرمهم ويطعمهم ويعظمهم ويعطيهم شيأ فان لم يكن ابنه عالما يكون حفيده عالما ومن توقير المعلم ان لا يمشى أمامه ولا يجلس مكانه ولا يبتدىء بالكلام عنده الا باذنه ولا يكثر الكلام عنده ولا يسأل شيأ عند ملالته ويراعى الوقت ولا يدق الباب بل يصبر حتى يخرج فالحاصل أنه يطلب رضاه ويجتنب سخطه ويمتثل امره فى غير معصية الله تعالى ولا طاعة للمخلوق فى معصية الخالق كما قال النبى عليه الصلاة والسلام ان اشر الناس من يذهب دينه لدنيا غيره * ومن توقيره توقير اولاده ومن يتعلق به وكان استاذنا شيخ الاسلام برهان الدين صاحب الهداية رحمة الله عليه يحكى ان واحدا من كبار ائمة بخارى كان يجلس مجلس الدرس وكان يقوم فى خلال الدرس احيانا فسألوه عن ذلك فقال ان ابن استاذى يلعب مع الصبيان فى السكة ويجىء احيانا الى باب المسجد فاذا رأيته أقوم له تعظيما لاستاذى والقاضى الامام فخر الدين الارسابندى كان رئيس الائمة فى مرو وكان السلطان يحترمه غاية الاحترام وكان يقول انما وجدت هذا المنصب بخدمة الاستاذ فانى كنت اخدم استاذى القاضى الامام ابا يزيد الدبوسى وكنت اخدمه واطبخ طعامه ثلاثين سنه ولا آكل منه شيأ والشيخ الامام الاجل شمس الائمة الحلوانى رحمه الله قد كان خرج من بخارى وسكن فى بعض القرى اياما بحادثة وقعت له وقد زاره تلاميذه غير الشيخ الامام القاضى شمس الائمة ابى بكر الزرنجى رحمه الله تعالى فقال له حين لقيه لم تزرنى فقال له كنت مشغولا بخدمة الوالدة قال ترزق العمر ولا ترزق رونق الدرس

وكان كذلك فانه كان يسكن فى اكثر اوقاته فى القرى ولم ينتظم له الدرس فمن تأذى منه استاذه يحرم بركة العلم ولا ينتفع به الا قليلا

ان المعلم والطبيب كلاهما * لا ينصحان اذا هما لم يكرما

فاصبر لدائك ان جفوت طبيبه * واقنع بجهلك ان جفوت معلما

(حكى) ان الخليفة هارون الرشيد بعث ابنه الى الاصمعى ليعلمه العلم والادب فرآه يوما يتوضأ و يغسل رجله وابن الخليفة يصب الماء على رجله فعاتب الخليفة الاصمعى فى ذلك فقال انما بعثته اليك لتعلمه وتؤدبه فلماذا لم تامره بان يصب الماء باحدى يديه و يغسل بالاخرى رجلك *ومن تعظيم المعلم تعظيم الكتاب فينبغى لطالب العلم أن لا يأخذ الكتاب الا بالطاهرة (حكى) عن الشيخ الامام شمس الائمة الحلوانى رحمة الله عليه أنه قال انما نلت هذا العلم بالتعظيم فانى ما أخذت الكاغد الا بالطهارة وأن الشيخ الامام شمس الائمة السرخسى رحمه الله تعالى كان مبطونا وكان يكرر فى ليلة فتوضأ فى تلك الليلة سبع عشر مرة لانه كان لا يكرر الا بالطهارة وهذا لان العلم نور والوضوء نور فيزداد نور العلم به ومن التعظيم الواجب ان لا يمد رجله الى الكتاب و يضع كتب التفسير فوق سائر الكتب تعظيما ولا يضع على الكتاب شيأ آخر وكان استاذنا شيخ الاسلام برهان الدين رحمه الله تعالى يحكى عن شيخ من المشايخ ان فقيها كان وضع المحبرة على الكتاب فقال له بالفارسية برنيابى وكان استاذنا القاضى الامام الاجل فخر الاسلام المعروف بقاضيخان رحمه الله تعالى يقول ان لم يرد بذلك الاستخفاف فلا بأس به والاولى ان يتحرز عنه ومن التعظيم الواجب ان يجود كتابة الكتاب ولا يقرمط و يترك الحاشية التى يقرمط الا عند الضرورة ورأى ابو حنيفة رحمه الله تعالى كاتبا يقرمط فى الكتابة فقال لا تقرمط خطك لانك ان عشت تندم وان مت تشتم يعنى اذا شخت وضعف بصرك ندمت على ذلك (وحكى) عن الشيخ الامام مجد الدين السرخسى انه قال ما قرمطنا ندمنا وما انتخبنا ندمنا وما لم نقابل ندمنا و ينبغى ان يكون تقطيع الكتاب مربعا فانه تقطيع ابى حنيفة رحمه الله وهو ايسر الى الرفع

والوضع والمطالعة و ينبغى أن لا يكون فى الكتاب شىء من الحمرة فانها صنيع الفلاسفة لا صنيع السلف ومن مشايخنا من كره استعمال المركب الاحمر ومن تعظيم العلم تعظيم الشركاء فى طلب العلم والدرس ومن يتعلم منه والتملق مذموم الا فى طلب العلم فانه ينبغى أن يتملق لاستاذه وشركائه ليستفيد منهم و ينبغى لطالب العلم أن يستمع العلم والحكمة بالتعظيم والحرمة وان سمع مسئلة واحدة او كلمة واحدة ألف مرة * قيل من لم يكن تعظيمه بعد ألف مرة كتعظيمه فى أول مرة فليس بأهل للعلم (و ينبغى) لطالب العلم أن لا يختار نوع علم بنفسه بل يفوض أمره الى الاستاذ فان الاستاذ قد حصل له التجارب فى ذلك فكان اعرف بما ينبغى لكل أحد وما يليق بطبيعته * وكان الشيخ الامام الاجل الاستاذ برهان الدين يقول كان طلبة العلم فى الزمان الاول يفوضون امورهم فى التعلم الى استاذهم فكانوا يصلون الى مقاصدهم ومرادهم والآن يختارون بانفسهم فلا يحصل مقصودهم من العلم والفقه وكان يحكى ان محمد بن اسمعيل البخارى رحمه الله تعالى كان بدا بكتاب الصلاة على محمد بن الحسن فقال محمد رحمه الله تعالى اذهب وتعلم علم الحديث لما راى ان ذلك العلم اليق بطبعه فطلب علم الحديث فصار فيه مقدما على جميع ائمة الحديث (و ينبغى) لطالب العلم ان لا يجلس قريبا من الاستاذ عند السبق بغير ضرورة بل ينبغى ان يكون بينه و بين الاستاذ قدر القوس فانه اقرب الى التعظيم (و ينبغى) لطالب العلم ان يحترز عن الاخلاق الذميمة فانها كلاب معنوية وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب او صورة وانما يتعلم الانسان بواسطة الملك والاخلاق الذميمة تعرف فى كتاب الاخلاق وكتابنا هذا لا يحتمل بيانها خصوصا عن التكبر ومع التكبر لا يحصل العلم قيل

العلم حرب للفتى المتعالى * كالسيل حرب للمكان العالى

(وقيل)

بجد لا بجد كل مجد * فهل جد بلا جد بمجدى

فكم عبد يقوم مقام حر * وكم حر يقوم مقام عبد

(فصل فى الجد والمواظبة والهمة)

ثم لا بد من الجد والمواظبة والملازمة لطالب العلم واليه الاشارة فى القرآن بقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله تعالى يايحيي خذ الكتاب بقوة وقد قيل من طلب شيأ وجد وجد ومن قرع الباب ولج ولج (وقيل) بقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى قيل يحتاج فى التعلم والتفقه الى الجد ثلاثة المتعلم والاستاذ والاب ان كان فى الاحياء انشدنى الشيخ الامام الاستاذ سديد الدين الشيرازى رحمة الله عليه للامام الشافعى

الجد يدنى كل امر شاسع * والجد يفتح كل باب مغلق
واحق خلق الله بالهم امرو * ذوهمة يبلى بعيش ضيق
ومن الدليل على القضاء وحكمه * بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق
لكن من رزق الحجى حرم الغنى * ضدان يفترقان اى تفرق

وانشدت لغيره

تمنيت ان تمسى فقيها مناظرا * بغير عناء والجنون فنون
وليس اكتساب المال دون مشقة * تحملها فالعلم كيف يكون

(قال ابو الطيب)

ولم ار فى عيوب الناس عيبا * كنقص القادرين على التمام

ولا بد لطالب من سهر الليالى كما قال الشاعر

بقدر الكد تكتسب المعالى * ومن طلب العلا سهر الليالى
تروم العز ثم تنام ليلا * يغوص البحر من طلب اللالى
علو الكعب بالهمم العوالى * وعز المرء فى سهر الليالى
ومن رام العلى من غير كد * اضاع العمر فى طلب المحال
تركت النوم ربى فى الليالى * لاجل رضاك يا مولى الموالى
فوفقنى الى تحصيل علم * وبلغنى الى اقصى المعالى

وقيل اتخذ الليل جملا تدرك به املا قال المصنف رحمه الله تعالى وقد اتفق لى نظم فى هذا المعنى

من شاء أن يحتوى آماله جملا * فليتخذ ليله فى دركها جملا
أقلل طعامك كى تحظى به سهرا * ان شئت يا صاحبي أن تبلغ الكملا

(وقيل) من أسهر نفسه بالليل فقد فرح قلبه بالنهار ولا بد لطالب العلم من المواظبة على الدرس والتكرار فى أول الليل وآخره فان ما بين العشاءين ووقت السحر وقت مبارك قيل فى المعنى شعر

ياطالب العلم باشر الورعا * وجنب النوم واترك الشبعا
داوم على الدرس لا تفارقه * فالعلم بالدرس قام وارتفعا

ويغتنم أيام الحداثة وعنفوان الشباب كما قيل

بقدر الكد تعطى ما تروم * فمن رام المنى ليلا يقوم
وأيام الحداثة فاغتنمها * ألا ان الحداثة لا تدوم

ولا يجهد نفسه جهدا ولا يضعف النفس حتى ينقطع عن العمل بل يستعمل الرفق فى ذلك والرفق اصل عظيم فى جميع الاشياء قال عليه الصلاة والسلام ألا ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض على نفسك عبادة الله تعالى فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى وقال عليه السلام نفسك مطيتك فارفق بها ولا بد لطالب العلم من الهمة العالية فى العلم فان المرء يطير بهمته كالطير يطير بجناحيه قال ابو الطيب

على قدر اهل العزم تأتى العزائم * وتأتى على قدر الكريم المكارم
وتعظم فى عين الصغير صغارها * وتصغر فى عين العظيم العظائم

والراس فى تحصيل الاشياء الجد والهمة العالية فمن كانت همته حفظ جميع كتب محمد بن الحسن رحمه الله تعالى واقترن بذلك الجد والمواظبة فالظاهر انه يحفظ اكثرها او نصفها فأما اذا كانت له همة عالية ولم يكن له جد او كان له جد ولم يكن له همة عالية لا يحصل له الا علم قليل وذكر الشيخ الاجل الامام الاستاذ رضى الدين النيسابورى رحمه الله فى كتاب مكارم الاخلاق ان ذا القرنين لما اراد ان يسافر ليستولى على المشرق والمغرب شاور الحكماء فى ذلك وقال كيف اسافر لهذا القدر

من الملك فان الدنيا قليلة فانية وملك الدنيا امر حقير فليس هذا من علو الهمة فقالت الحكماء سافرا ليحصل لك ملك الدنيا والآخرة فقال هذا احسن وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب معالى الامور و يكره سفسافها وقيل

فلا تعجل بأمرك واستدمه * فما صلى عصاك كمستديم

قال أبو حنيفة لابى يوسف رحمهما الله تعالى كنت بليدا أخرجتك المواظبة فى الدرس واياك والكسل فانه شؤم وآفة عظيمة قال الشيخ الامام أبو نصر الصفار الانصارى رحمه الله تعالى

يا نفس يا نفس لا ترخى عن العمل * فى البر والعدل والاحسان فى مهل
فكل ذى عمل فى الخير مغتبط * وفى بلاء وشؤم كل ذى كسل

قال المصنف وقد اتفق لى فى هذا المعنى

دعى نفسى التكاسل والتوانى * والا فاثبتى فى ذا الهوان
فلم أر للكسالى الحظ يعطى * سوى ندم وحرمان الامانى

﴿ وقيل ﴾

كم من حياء وكم عجز وكم ندم * جم تولد للانسان من كسل
اياك عن كسل فى البحث عن شبه * مما علمت وما قد شذ عنك سل

وقد قيل الكسل من قلة التأمل فى مناقب العلم وفضائله فينبغى للمتعلم أن يبعث نفسه على التحصيل والجد والمواظبة بالتأمل فى فضائل العلم فان العلم يبقى ببقاء المعلومات والمال يفنى كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

رضينا قسمة الجبار فينا * لنا علم وللاعداء مال
فان المال يفنى عن قريب * وان العلم يبقى لا يزال

والعلم النافع يحصل به حسن الذكر و يبقى ذلك بعد وفاته فانه حياة أبدية أنشدنا الشيخ الامام الاجل ظهير الدين مفتي الائمة الحسن بن على المعروف بالمرغيناني رحمه الله تعالى

الجاهلون فموتى قبل موتهم * والعالمون وان ماتوا فأحياء

وأنشدنا شيخ الاسلام برهان الدين

وفى الجهل قبل الموت موت لاهله * فاجسامهم قبل القبور قبور
وان امرأ لم يحى بالعلم ميت * وليس له حين النشور نشور

﴿ غيره ﴾

أخو العلم حى خالد بعد موته * وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو يمشى على الثرى * يظن من الاحياء وهو عديم

﴿ وقال آخر ﴾

حياة القلب علم فاغتنمه * وموت القلب جهل فاجتنبه

وأنشدنا الشيخ الاستاذ شيخ الاسلام برهان الدين رحمه الله تعالى

ذا العلم أعلى رتبة فى المراتب * ومن دونه عز العلى فى المواكب
فذو العلم يبقى عزه متضاعفا * وذو الجهل بعد الموت تحت التيارب
فهيهات لا يرجو مداه من ارتقى * رقى ولى الملك والى الكتائب
سأملى عليكم بعض ما فيه فاسمعوا * فبى حصر عن ذكر كل المناقب
هو النور كل النور يهدى عن العمى * وذو الجهل مر الدهر بين الغياهب
هو الذروة الشماء يحمى من التجا * اليها ويمشى آمنا فى النوائب
به ينتجى والناس فى غفلاتهم * به يرتجى والروح بين الترائب
به يشفع الانسان من راح عاصيا * الى درك النيران شر العواقب
فمن رامه رام المآرب كلها * ومن حازه قد حاز كل المطالب
هو المنصب العالى أيا صاحب الحجى * اذا نالته هون بفوت المناصب
فان فاتك الدنيا وطيب نعيمها * فغمض فان العلم خير المواهب

وأنشدت لبعضهم

اذا ما اعتز ذو علم بعلم * فعلم الفقه أولى باعتزاز
فكم طيب يفوح ولا كمسك * وكم طير يطير ولا كباز

﴿ وأنشدت أيضا ﴾

الفقه أنفس شيء أنت داخره * من يدرس العلم لم تدرس مفاخره
فاكسب لنفسك ماأصبحت تجهله * فأول العلم اقبال وآخره

وكفى بلذة العلم والفقه والفهم داعيا و باعثا للعاقل على تحصيل العلم وقد يتولد الكسل من كثرة البلغم والرطوبات وطريق تقليله تقليل الطعام ﴿قيل﴾ اتفق سبعون نبيا عليهم الصلاة والسلام على أن كثرة النسيان من كثرة البلغم وكثرة البلغم من كثرة شرب الماء وكثرة شرب الماء من كثرة الاكل والخبز اليابس يقطع البلغم وكذلك أكل الزبيب على الريق يقطع البلغم ولا يكثر منه حتى لا يحتاج الى شرب الماء فيزيد البلغم والسواك يقلل البلغم ويزيد فى الحفظ والفصاحة فانه سنة سنية ويزيد فى ثواب الصلاة وقراءة القرآن وكذلك القيء يقلل البلغم والرطوبات وطريق تقليل الاكل التأمل فى منافع قلة الاكل وهى الصحة والعفة والايثار وقد قيل فعار ثم عار ثم عار * شقاء المرء من أجل الطعام

وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال ثلاثة يبغضهم الله تعالى من غير جرم الاكول والبخيل والمتكبر والتأمل فى مضار كثرة الاكل وهى الامراض وكلالة الطبع * قيل البطنة تذهب الفطنة ﴿حكى﴾ عن جالينوس أنه قال الرمان نفع كله والسمك ضرر كله وقليل السمك خير من كثير الرمان وفيه ايضا اتلاف المال والاكل فوق الشبع ضرر محض ويستحق به العقاب فى الدار الآخرة والاكول بغيض فى القلوب وطريق تقليل الاكل ان يأكل الاطعمة الدسمة ويقدم فى الاكل الالطف والاشهى ولا يأكل مع الجيعان الا اذا كان له غرض صحيح فى كثرة الاكل بأن يتقوى به على الصيام والصلاة والاعمال الشاقة فله ذلك

﴿فصل فى بداية السبق وقدره وترتيبه﴾

كان استاذنا شيخ الاسلام برهان الدين رحمه الله تعالى يوقف بداءة السبق على يوم الاربعاء وكان يروى فى ذلك حديثا ويستدل به ويقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن شيء بدئ فى يوم الاربعاء الاوقد تم وهذا كان يفعل ابوحنيفة رحمه الله تعالى وكان يروى هذا الحديث عن استاذه الشيخ الامام

الاجل قوام الدين احمد بن عبد الرشيد رحمه الله تعالى وسمعت ممن أثق به أن الشيخ أبا يوسف الهمدانى رحمه الله تعالى كان يوقف كل عمل من أعمال الخير على يوم الاربعاء وهذا لان يوم الاربعاء يوم خلق فيه النور وهو يوم نحس فى حق الكفار فيكون مباركا للمؤمنين * وأما قدر السبق فى الابتداء كان أبو حنيفة رحمه الله تعالى يحكى عن الشيخ القاضى الامام عمر بن أبى بكر الزنجى رحمه الله تعالى أنه قال قال مشايخنا رحمهم الله تعالى ينبغى أن يكون قدر السبق للمبتدىء قدر ما يمكن ضبطه بالاعادة مرتين ويزيد كل يوم كلمة حتى انه وان طال السبق وكثر يمكن ضبطه بالاعادة مرتين ويزيد بالرفق والتدريج فاما اذا طال السبق فى الابتداء واحتاج المتعلم الى الاعادة عشر مرات فهو فى الانتهاء أيضا يكون كذلك لانه يعتاد ذلك ولا يترك تلك العادة لا بجهد كثير وقد قيل السبق حرف والتكرار الف وينبغى أن يبتدىء بشيء يكون أقرب الى فهمه وكان الشيخ الامام الاستاذ شرف الدين العقيلى رحمه الله تعالى يقول الصواب عندى فى هذا ما فعله مشايخنا رحمهم الله فانهم كانوا يختارون للمبتدىء صغارات المبسوطة لأنه أقرب الى الفهم والضبط وأبعد عن الملالة وأكثر وقوعا بين الناس وينبغى أن يعلق السبق بعد الضبط والاعادة كثيرا فانه نافع جدا ولا يكتب المتعلم شيأ لا يفهمه فانه يورث كلالة الطبع ويذهب الفطنة ويضيع أوقاته وينبغى ان يجتهد فى الفهم عن الاستاذ وبالتأمل والتفكر وكثرة التكرار فانه اذا قل السبق وكثر التكرار والتأمل يدرك ويفهم (قيل) حفظ حرفين خير من سماع وقرين وفهم حرفين خير من حفظ وقرين واذا تهاون فى الفهم ولم يجتهد مرة أو مرتين يعتاد ذلك فلا يفهم الكلام اليسير فينبغى أن لا يتهاون فى الفهم بل يجتهد ويدعو الله تعالى ويتضرع اليه فانه يجيب من دعاه ولا يخيب من رجاه * أنشدنا الشيخ الامام الاجل قوام الدين حماد بن ابراهيم بن اسمعيل الصفار رحمه الله تعالى املاء للقاضى الخليل بن أحمد السجزى فى ذلك

اخدم العلم خدمة المستفيد * وأدم درسه بفعل حميد
واذاما حفظت شيأ أعـده * ثم أكده غاية التأكيد
ثم علقه كي تعود اليـه * والى درسـه على التأييد
واذا ماأمنت منه فواتا * فانتدب بعده لشيء جديد
مع تـكرار ماتقدم منه * واعتناء بشأن هـذا المزيد
ذاكر الناس بالعلوم لتحيا * لاتكن من من أولى النهى ببعيد
ان كتمت العلوم انسيت حتى * لاترى غير جاهل وبليد
ثم الجمت فى القيامة نارا * وتلهبت فى العذاب الشديد

ولا بد لطالب العلم من المذاكرة والمناظرة والمطارحة فينبغى ان يكون بالانصاف والتأنى والتامل ويتحرز عن الشغب والغضب فان المناظرة والمذاكرة مشاورة والمشاورة انما تكون لاستخراج الصواب وذلك انما يحصل بالتامل والتأنى من المباحثة والانصاف ولا يحصل ذلك بالشغب والغضب فان كانت نيته الزام الخصم وقهره لايحل ذلك وانما يحل ذلك لاظهار الحق * والتمويه والحيلة فيها لاتجوز الا اذا كان الخصم متعنتا لاطالبا للحق * وكان محمد بن يحي رحمه الله تعالى اذا توجه عليه الاشكال ولم يحضره الجواب يقول ماألزمته لازم وأنا فيه ناظر وفوق كل ذي علم عليم * وفائدة المطارحة والمناظرة أقوى من فائدة مجرد التكرار لان فيه تكرارا وزيادة (وقيل) مطارحة ساعة خير من تكرار شهر ولـكن اذا كان مع منصف سليم الطبع واياك والمذاكرة مع متعنت غير مستقيم الطبع فان الطبيعة متسرية والاخلاق متعدية والمجاورة مؤثرة وفى الشعر الذى ذكره خليـل ابن احمد رحمه الله فوائد كثيرة قيل

العلم من شرطه لمن خدمه   أن يجعـل الناس كلهم خدمه

(وينبغى) لطالب العلم ان يكون متأملا فى جميع الاوقات فى دقائق العلوم ويعتاد ذلك فانما تدرك الدقائق بالتأمل ولهذا قيل تأمل تدرك ولا بد من التأمل قبل الـكلام حتى يكون صوابا فان الكلام كالسهم فلا بد من تقويمه بالتامل قبل

الكلام حتى يكون مصيبا وقال فى اصول الفقه هذا أصل كبير وهو ان يكون كلام الفقيه المناظر بالتأمل (قيل) رأس العـقل أن يكون الكلام بالتثبت والتأمل قال القائل

أوصيك فى نظم الكلام بخمسة * ان كنت للموصى الشفيق مطيعا
لاتغفلن سبب الكلام ووقته * والكيف والكم المـكان جميعا

ويكون مستفيدا فى جميع الاحوال والاوقات من جميع الاشخاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها وقيل خذ ما صفا ودع ما كدر وسمعت الشيخ الامام الاجل الاستاذ فخر الدين الكاشانى رحمه الله تعالى يقول كانت جارية أبى يوسف رحمه الله تعالى امانة عند محمد رحمه الله عليه فقال لها محمد هل تحفظين فى هذا الوقت من ابى يوسف فى الفقه شيأ قالت لا الا أنه كان يكرر ويقول سهم الدور ساقط فحفظ ذلك منها وكانت تلك المسئلة مشكلة على محمد رحمه الله تعالى فارتفع اشكاله بهذه الكلمة فعلم ان الاستفادة ممكنة من كل احد ولهذا قال ابو يوسف رحمـه الله حين قيل له بم ادركت العـلم قال ما استنكفت من الاستفادة وما بخلت بالافادة (وقيـل) لابن عباس رضى الله تعالى عنهما بم ادركت العلم قال بلسان سؤل وقلب عقول وانما سمى طالب العلم ما تقول لكثرة ما يقولون فى الزمان الاول ما تقول فى هذه المسئلة وانما تفقه ابو حنيفة رحمه الله تعالى بكثرة المطارحة والمذاكرة فى دكانه حين كان بزازا وبهذا يعلم ان تحصيل العلم والفقه يجتمع مع الكسب وكان ابو حفص الكبير رحمه الله يكتسب ويكرر العلوم فان كان لابد لطالب العلم من الكسب لنفقة العيال وغيرهم فليكتسب وليكرر وليذاكر ولا يكسل وليس لصحيح البدن والعقل عذر فى ترك التعلم والتفقه فانه لا يكون افقر من ابى يوسف رحمه الله تعالى ولم يمنعه ذلك من التفقه فمن كان له مال كثير فنعم المـال الصالح للرجل الصالح المنصرف فى طريق العـلم * قيل لعالم بم ادركت العـلم قال باب غنى لانه كان يصطنع به اهل العلم والفضل فانه سبب زيادة العلم لانه شكر على نعمة العقل والعلم وانه سبب الزيادة قيل قال ابو حنيفة رحمـه

الله انما ادركت العلم بالحمد لله تعالى والشكر فكلما فهمت شيا من العلوم ووقفت على فقه وحكمة قلت الحمد لله تعالى فازداد علمي وهكذا ينبغي لطالب العلم ان يشتغل بالشكر باللسان والجنان والاركان والمال ويرى الفهم والعلم والتوفيق من الله تعالى ويطلب الهداية من الله تعالى بالدعاء له والتضرع اليه فانه تعالى هاد من استهداه فاهل الحق وهم اهل السنة والجماعة طلبوا الحق من الله تعالى الحق الهادى المبين العاصم فهداهم الله تعالى وعصمهم عن الضلالة واهل الضلالة اعجبوا برايهم وعقلهم وطلبوا الحق من المخلوق العاجز وهو العقل لان العقل لا يدرك جميع الاشياء كالبصر لا يبصر جميع الاشياء فحجبوا وعجزوا وضلوا واضلوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه فاذا عرف عجز نفسه عرف قدرة الله عز وجل ولا يعتمد على نفسه وعقله بل يتوكل على الله تعالى ويطلب الحق منه ومن يتوكل على الله فهو حسبه ويهديه الى صراط مستقيم ومن كان له مال فلا يبخل وينبغي أن يتعوذ بالله العظيم من البخل قال النبي عليه الصلاة والسلام اى داء ادوأ من البخل وكان ابو الشيخ الامام الاجل شمس الائمة الحلوانى رحمه الله فقيرا يبيع الحلواء وكان يعطى الفقهاء من الحلواء ويقول ادعوا لابني فببركة جوده واعتقاده وشفقته وتضرعه نال ابنه ما نال ويشترى بالمال الكتب ويستكتب فيكون عونا على التعلم والتفقه وقد كان لمحمد بن الحسن رحمه الله تعالى مال كثير حتى كان له ثلثمائة من الوكلاء على ماله فانفقه كله فى العلم والفقه ولم يبقى له ثوب نفيس فراه أبو يوسف رحمه الله تعالى فى ثوب خلق فأرسل اليه ثيابا نفيسة فلم يقبلها فقال عجل لكم واجل لنا ولعله انما لم يقبله وان كان قبول الهدية سنة لما راى ان فى ذلك مذلة لنفسه وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام ليس المؤمن ان يذل نفسه (وحكى) ان الشيخ فخر الاسلام الارسابندى رحمه الله جمع قشور البطيخ الملقاة فى مكان خال فغسلها واكلها فراته جارية فاخبرت بذلك مولاها فاتخذله دعوة ودعاه اليها فلم يقبل لهذا وهكذا ينبغي لطالب العلم ان يكون ذاهمة عالية لا يطمع فى اموال الناس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك

والطمع فانه فقر حاضر ولا يبخل بما عنده من المال بل ينفق على نفسه وعلى غيره قال النبي صلى الله عليه الصلاة والسلام الناس كلهم فى الفقر مخافة الفقر وكانوا فى الزمان الاول يتعلمون الحرفة ثم يتعلمون العلم حتي لا يطمعوا فى اموال الناس وفى الحكمة من استغنى بمال الناس افتقر والعالم اذا كان طماعا لا تبقى له حرمة العلم ولا يقول بالحق ولهذا كان يتعوذ صاحب الشرع عليه السلام منه ويقول أعوذ بالله من طمع يدنى الى طبع وينبغي للمؤمن أن لا يرجو الا من الله تعالى ولا يخاف الا منه تعالى ويظهر ذلك بمجاوزة حد الشرع وعدمها فمن عصى الله تعالى خوفا من المخلوق فقد خاف غير الله تعالى فاذا لم يعص الله تعالى لخوف المخلوق وراقب حدود الشرع فلم يخف غير الله تعالى بل خاف الله تعالى وكذا فى جانب الرجاء ﴿وينبغي﴾ لطالب العلم أن يعدو يقدر لنفسه تقديرا فى التكرار فانه لا يستقر قلبه حتي يبلغ ذلك المبلغ ﴿وينبغي﴾ لطالب العلم ان يكرر سبق الامس خمس مرات وسبق اليوم الذى قبل الامس اربع مرات والسبق الذى قبله ثلاث مرات والذى قبله اثنين والذى قبله مرة واحدة فهذا أدعى الى الحفظ ﴿وينبغي﴾ ان لا يعتاد المخافتة فى التكرار لان الدرس والتكرار ينبغي أن يكونا بقوة ونشاط ولا يجهر جهرا يجهد نفسه كيلا ينقطع عن التكرار فخير الامور أوسطها ﴿حكى﴾ أن ابا يوسف رحمه الله تعالى كان يذاكر الفقه مع الفقهاء بقوة ونشاط وكان صهره عنده يتعجب فى امره ويقول انا اعلم انه جائع منذ خمسة ايام ومع ذلك انه يناظر بقوة ونشاط ﴿وينبغي﴾ ان لا يكون لطالب العلم فترة وتحيرة فانها آفته وكان استاذنا شيخ الاسلام برهان الدين رحمه الله تعالى يقول انما فقت على شركائى بأنى لم يقع لى الفترة والاضطراب فى التحصيل وكان يحكى عن شيخ الاسلام الاسبيجابى انه وقع له فى زمان تحصيله وتعلمه فترة اثنتي عشرة سنة بانقلاب الملك وخرج مع شريكه فى المناظرة ولم يتركا المناظرة وكانا يجلسان كل يوم للمناظرة ولم يتركا الجلوس للمناظرة اثنتي عشرة سنة فصار شريكه شيخ الاسلام للشافعيين وهو كان شافعيا وكان استاذنا الشيخ القاضى الامام فخر الاسلام قاضيخان يقول ينبغى

للمتفقه ان يحفظ نسخة واحدة من نسخ الفقه دائما فيتيسر له بعد ذلك حفظ ما يسمع من الفقه

﴿ فصل فى التوكل ﴾

ثم لا بد لطالب العلم من التوكل فى طلب العلم ولا يهتم لامر الرزق ولا يشغل قلبه بذلك (روى) أبو حنيفة رحمه الله عن عبد الله بن الحسن الزبيدى رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تفقه فى دين الله كفاه الله تعالى همه ورزقه من حيث لا يحتسب فان من اشتغل قلبه بأمر الرزق من القوت والكسوة فلما يتفرغ لتحصيل مكارم الاخلاق ومعالى الامور قيل

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

قال رجل لمنصور الحلاج أوصنى فقال هى نفسك ان لم تشغلها وتستعملها شغلتك فينبغى لكل احد ان يشغل نفسه بأعمال الخير حتى لا تشتغل نفسه بهواها ولا يهتم العاقل لامر الدنيا لان الهم والحزن لا يرد المصيبة ولا ينفع بل يضر بالقلب والعقل والبدن ويخل بأعمال الخير ويهتم لامر الآخرة لانه ينفع واما قول عليه السلام ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا هم المعيشة فالمراد منه قدر هم لا يخل بأعمال الخير ولا يشغل القلب شغلا يخل باحضار القلب فى الصلاة فان ذلك القدر من الهم والقصد من اعمال الآخرة ولا بد لطالب العلم من تقليل العلائق الدنيوية بقدر الوسع ولهذا اختاروا الغربة ولا بد من تحمل النصب والمشقة فى سفر التعلم كما قال موسى صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه فى سفر التعلم ولم ينقل عنه ذلك فى غيره من الاسفار لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ليعلم ان سفر العلم لا يخلو عن التعب لان طلب العلم امر عظيم وهو افضل من الجهاد عند اكثر العلماء والاجر على قدر التعب فمن صبر على ذلك وجد لذة للعلم تفوق سائر لذات الدنيا ولهذا كان محمد بن الحسن اذا سهر الليالى وانحلت له المشكلات يقول اين ابناء الملوك من هذه اللذات ﴿وينبغى﴾ لطالب العلم ان لا يشتغل بشىء آخر غير العلم ولا يعرض عن الفقه قال محمد بن الحسن رحمه الله ان صناعتنا هذه من المهد الى

اللحد فمن اراد أن يترك علمنا هذا ساعة فليتركه الساعة * ودخل فقيه وهو ابراهيم بن الجراح على أبى يوسف يعوده فى مرض موته وهو يجود بنفسه فقال أبو يوسف له رمى الجمار راكبا أفضل أم راجلا فلم يعرف الجواب فأجاب بنفسه وهو ان الرمى ماشيا أحب فى الاولين وهكذا ينبغى للفقيه أن يشتغل به فى جميع أوقاته فحينئذ يجد لذة عظيمة فى ذلك (وقيل) رؤى محمد فى المنام بعد وفاته فقيل له كيف كنت فى حال النزع فقال كنت متأملا فى مسئلة من مسائل المكاتب فلم اشعر بخروج روحى وقيل انه قال فى آخر عمره شغلتنى مسائل المكاتب عن الاستعداد لهذا اليوم وانما قال ذلك تواضعا

﴿فصل فى وقت التحصيل﴾

قيل وقت التعلم من المهد الى اللحد دخل حسن بن زياد رحمه الله تعالى فى التفقه وهو ابن ثمانين سنة ولم يبت على الفراش أربعين سنة فافتى بعد ذلك أربعين سنة وافضل الاوقات شرخ الشباب ووقت السحر وما بين العشاءين (وينبغى) لطالب العلم أن يستغرق جميع أوقاته فاذا مل من علم يشتغل بعلم آخر وكان ابن عباس رضى الله تعالى عنه اذا مل من الكلام يقول هاتوا ديوان الشعراء وكان محمد بن الحسن لا ينام الليل وكان يضع عنده الدفاتر وكان اذا مل من نوع ينظر فى نوع آخر وكان يضع عنده الماء ويزيل نومه بالماء وكان يقول ان النوم من الحرارة فلا بد من دفعه بالماء البارد

﴿ فصل فى الشفقة والنصيحة ﴾

(ينبغى) أن يكون صاحب العلم مشفقا ناصحا غير حاسد فالحسد يضر ولا ينفع وكان استاذنا شيخ الاسلام برهان الدين رحمه الله يقول قالوا أن ابن المعلم يكون عالما لان المعلم يريد ان تكون تلاميذه فى القرآن علماء فببركة اعتقاده وشفقته يكون ابنه عالما وكان يحكى أن الصدر الاجل برهان الائمة رحمه الله جعل وقت السبق لابنيه الصدر الشهيد حسام الدين والصدر السعيد تاج الدين رحمهما الله تعالى وقت الضحوة الكبرى بعد جميع الاسباق وكانا يقولان ان طبيعتنا تكل وتمل فى ذلك الوقت فقال أبوهما ان الغرباء واولاد الكبراء يأتونى من أقطار

الارض فلابد من أن أقدم أسباقهم فببركة شفقته فاق ابناءه على اكثر فقهاء
أهل لاارض فى ذلك العصر فى الفقه (وينبغى) أن لا ينازع أحد ولا يخاصمه
لانه يضيع أوقاته (قيل) المحسن سيجزى باحسانه والمسىء ستكفيه مساويه
* انشدنى الشيخ الامام ركن الاسلام محمد بن أبى بكر المعروف بامام خواهر
زاده المفتى رحمه الله قال انشدنى سلطان الشريعه يوسف الهمدانى رحمه الله تعالى
هذا الشعر ودع المرء لا تجزه على سوء فعله * سيكفيه ما فيه وما هو فاعله
قيل من اراد ان يرغم انف عدوه فليكرر هذا الشعر وانشدت

اذا شئت ان تلقى عدوك راغما * وتقتله غما وتحرقه هما
فرم للعلى وازدد من العلم انه * من ازداد علما زاد حاسده غما

قيل عليك ان تشتغل بمصالح نفسك لا بقهر عدوك فاذا اقمت بمصالح نفسك
تضمن ذلك قهر عدوك واياك والمعاداة فانها تفضحك وتضيع اوقاتك وعليك
بالتحمل لاسيما من السفهاء قال عيسى بن مريم صلوات الله على نبينا وعليه
احتملوا من السفيه واحدة كى تربحوا عشرا وانشدت لبعضهم

بلوت الناس قرنا بعد قرن * فلم ارغير ختال وقال
ولم ار فى الخطوب اشد وقعا * واصعب من معاداة الرجال
وذقت مرارة الاشياء طرآ * فما شىء امر من السؤال

واياك ان تظن شرا بالمؤمنين فانه منشأ العداوة ولا يحل ذلك لقوله عليه الصلاة
والسلام ظنوا بالمؤمنين خيرا وانما ينشأ ذلك من خبث النية وسوء السريرة
كما قال ابو الطيب

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عداته * واصبح فى ليل من الشك مظلم

وانشدت لبعضهم

تنح عن القبيح ولا ترده * ومن اوليته حسنا فزده
ستكفى من عدوك كل كيد * اذا كاد العدو فلا تكده*

وأنشدت للشيخ العميد أبى الفتح البستى رحمه الله

ذو العقل لا يسلم من جاهل * يسومه ظلما واعناتا
فليختر السلم على حربه * وليلزم الانصات ان صاتا

(فصل فى الاستفادة)

وينبغى أن يكون طالب العلم مستفيدا فى كل وقت حتى يحصل له الفضل وطريق
الاستفادة أن يكون معه فى كل وقت محبرة حتى يكتب ما يسمع من الفوائد العلمية
(قيل) من حفظ فر ومن كتب شيأ قر وقيل العلم ما يؤخذ من أفواه الرجال لانهم
يحفظون أحسن ما يسمعون ويقولون أحسن ما يحفظون وسمعت الشيخ الامام
الأديب الاستاذ زين الاسلام المعروف بالأديب المختار يقول قال هلال بن يسار
رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه شيأ من العلم والحكمة فقلت يارسول
الله أعد لى ما قلت لهم فقال لى هل معك محبرة فقلت ما معى محبرة فقال ياهلال لا
تفارق المحبرة فان الخير فيها وفى أهلها الى يوم القيامة ووصى الصدر الشهيد حسام
الدين ابنه شمس الدين أن يحفظ كل يوم شيأ يسيرا من العلم والحكمة فانه يسير
وعن قريب يكون كثيرا واشترى عصام بن يوسف قلما بدينار ليكتب ما سمعه فى
الحال فالعمر قصير والعلم كثير فينبغى أن لا يضيع الاوقات والساعات ويغتنم الليالى
والخلوات * عن يحيى بن معاذ الرازى أنه قال الليل طويل فلا تقصره بمنامك والنهار
مضىء فلا تكدره بآثامك وينبغى ان يغتنم الشيوخ ويستفيد منهم وليس كل
ما فات يدرك كما قال أستاذنا شيخ الاسلام رحمة الله عليه فى مشيخته كم من شيخ
كبير فى العلم والفضل أدركته وما استخبرته وأقول على هذا الفوت منشأ هذا البيت

لهفا على فوت التلاقى لهفا * ما كل ما فات ويفنى يلفى

قال على كرم الله وجهه اذا كنت فى أمر فكن فيه وكفى بالاعراض عن علم الله
تعالى خزيا وخسارا واستعذ بالله منه ليلا ونهارا ولا بد لطالب العلم من تحمل المشقة
والمذلة فى طلب العلم والتملق مذموم الا فى طلب العلم فانه لا بد له من التملق للاستاذ
والشركاء وغيرهم للاستفادة منهم قيل العلم عز لا ذل فيه لا يدرك الا بذل لا عز

فيه وقال القائل

أرى لك نفسا تشتهى أن تعزها * فلست تنال العز حتى تذلها

﴿فصل فى الورع فى حالة التعلم﴾

روى بعضهم حديثا فى هذا الباب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من لم يتورع فى تعلمه ابتلاه الله تعالى بأحد ثلاثة اشياء اما ان يميته فى شبابه او يوقعه فى الرساتيق أو يبتليه بخدمة السلطان فمهما كان طالب العلم اورع كان علمه انفع والتعلم له ايسر وفوائده اكثر ومن الورع الكامل ان يحترز عن الشبع وكثرة النوم وكثرة الكلام فيما لا ينفع وان يتحرز عن أكل طعام السوق ان امكن لان طعام السوق اقرب للنجاسة والخباثة وابعد عن ذكر الله واقرب الى الغفلة ولان ابصار الفقراء تقع عليه ولا يقدرون على الشراء منه فيتأذون بذلك فتذهب بركته (وحكى) ان الشيخ الامام الجليل محمد بن الفضل رحمه الله كان فى حال تعلمه لا يأكل من طعام السوق وكان ابوه يسكن فى الرستاق ويهيء اليه طعامه ويدخل اليه يوم الجمعة فرأى فى بيت ابنه خبز السوق يوما فلم يكلمه ساخطا عليه فاعتذر ابنه وقال ما اشتريته أنا ولم أرض به ولكن احضره شريكى فقال له ابوه لو كنت تحتاط وتتورع عن مثله لم يجترىء شريكك على ذلك وهكذا كانوا يتورعون فلذلك وفقوا للعلم والنشر حتى بقى اسمهم الى يوم القيامة ووصى فقيه من زهاد الفقهاء طالب علم فقال له عليك ان تتحرز عن الغيبة وعن مجالسة المكثار وقال ان من يكثر الكلام يسرق عمرك ويضيع اوقاتك ومن الورع ان يجتنب عن اهل الفساد والمعاصى والتعطيل ويجاور الصلحاء فان المجاورة مؤثرة لا محالة وان يجلس مستقبل القبلة ويكون مستنا بسنة النبى عليه السلام ويغتنم دعوة اهل الخير ويحترز عن دعوة المظلومين (وحكى) ان رجلين خرجا فى طلب العلم للغربة وكانا شريكين فى العلم فرجعا بعد سنين الى بلدهما وقد فقه احدهما ولم يفقه الآخر فتأمل فقهاء البلدة وسألوا عن حالهما وتكرارهما وجلوسهما فاخبروا ان جلوس الذى تفقه فى حال التكرار كان مستقبل القبلة والمصر الذى

حصل العلم فيه والآخر كان مستدبر القبلة ووجهه الى غير المصر فاتفق العلماء والفقهاء ان الفقيه فقه ببركة استقبال القبلة اذ هو السنة فى الجلوس الا عند الضرورة وببركة دعاء المسلمين فان المصر لا يخلو عن العباد وأهل الخير فالظاهر ان عابدا من العباد دعا له فى الليل فينبغى لطالب العلم ان لا يتهاون بالآداب والسنن فان من تهاون بالآداب حرم السنن ومن تهاون بالسنن حرم الفرائض ومن تهاون بالفرائض حرم الآخرة وبعضهم قال هذا حديث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وينبغى ان يكثر الصلاة ويصلى صلاة الخاشعين فان ذلك عون له على التحصيل والتعلم وانشدت للشيخ الجليل الزاهد الحجاج نجم الدين عمر بن محمد النسفى

كن للاوامر والنواهى حافظا * وعلى الصلاة مواظبا ومحافظا
واطلب علوم الشرع واجهد واستعن * بالطيبات تصر فقيها حافظا
واسأل الهك حفظ حفظك راغبا * فى فضله فالله خير حافظا

وقال رحمه الله تعالى

اطيعوا وجدوا ولا تكسلوا * وانتم الى ربكم ترجعون
ولا تهجعوا فخيار الورى * قليلا من الليل ما يهجعون

(وينبغى) ان يستصحب دفترا على كل حال ليطالعه وقيل من لم يكن له دفتر فى كمه لم تثبت الحكمة فى قلبه وينبغى ان يكون فى الدفتر بياض ويستصحب المحبرة ليكتب ما يسمع وقد ذكرنا حديث هلال بن يسار

﴿فصل فيما يورث الحفظ وفيما يورث النسيان﴾

واقوى اسباب الحفظ الجد والمواظبة وتقليل الغذاء وصلاة الليل وقراءة القرآن من اسباب الحفظ قيل ليس شىء ازيد للحفظ من قراءة القرآن نظرا وقراءة القرآن نظرا افضل لقوله عليه الصلاة والسلام افضل اعمال امتى قراءة القرآن نظرا ورأى شداد بن حكيم بعض اخوانه فى المنام بعد وفاته فقال لاخيه اى شىء وجدته انفع قال قراءة القرآن نظرا ويقول عند رفع الكتاب بسم الله وسبحان الله

والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم العزيز العليم عدد كل حرف كتب و يكتب ابد الآبدين ودهر الداهرين و يقول بعد كل مكتوبة آمنت بالله الواحد الاحد الحق وحده لا شريك له وكفرت بما سواه و يكثر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فانه رحمة للعالمين قيل شعر

شكوت الى وكيع سوء حفظى * فارشدنى الى ترك المعاصى
فان الحفظ فضل من اله * وفضل الله لا يهدى لعاصى

والسواك وشرب العسل وأكل الكندر مع السكر واكل احد وعشرين زبيبة حمراء كل يوم على الريق يورث الحفظ و يشفي من كثير من الامراض والاسقام وكل ما يقلل البلغم والرطوبات يزيد فى الحفظ وكل ما يزيد فى البلغم يورث النسيان * واما ما يورث النسيان فالمعاصى وكثرة الذنوب و الهموم والاحزان فى امور الدنيا وكثرة الاشغال والعلائق وقد ذكرنا انه لا ينبغى للعاقل ان يهتم لامر الدنيا لانه يضر ولا ينفع وهموم الدنيا لا تخلو عن الظلمة فى القلب وهموم الآخرة لا تخلو عن النور فى القلب و يظهر اثره فى الصلاة فهم الدنيا يمنعه عن الخير وهم الآخرة يحمله عليه والاشتغال بالصلاة على الخشوع وتحصيل العلوم ينفى الهم والحزن كما قال الشيخ الامام نصر بن الحسن المرغينانى فى قصيدة له

اعنى نصر بن حسن * بكل علم يختزن
ذاك الذى ينفى الحزن * وغيره لا يؤتمن

وقال الشيخ الامام الاجل نجم الدين عمر بن محمد النسفى فى ام ولد له

سلام على من تيمتنى بظرفها * ولمعة خديها ولمحة طرفها
سبتنى واصبتنى فتاة مليحة * تحيرت الاوهام فى كنهه وصفها
فقلت ذرينى واعذرينى فاننى * شغفت بتحصيل العلوم وكشفها
ولى فى طلاب العلم والفضل والتقى * غنى عن غناء الغانيات وعرفها

واما اسباب نسيان العلم فاكل الكزبرة الرطبة واكل التفاح الحامض والنظر الى المصلوب وقراءة ألواح القبور والمرور بين قطار الجمال والقاء القمل الحى على

الارض والحجامة على نقرة القفا فانها كلها تورث النسيان

﴿فصل فيما يجلب الرزق وما يمنعه وما يزيد فى العمر وما ينقص﴾

ثم لا بد لطالب العلم من القوت ومعرفة ما يزيد فيه وما يزيد فى العمر والصحة ليتفرغ لطلب العلم و فى كل ذلك صنفوا كتبا فأوردت ههنا بعضها على سبيل الاختصار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد فى العمر الا البر فان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ثبت بهذا الحديث أن ارتكاب الذنب سبب حرمان الرزق خصوصا الكذب يورث الفقر وقد ورد فيه حديث خاص وكذا نوم الصبحة يمنع الرزق وكثرة النوم تورث الفقر وفقر العلم أيضا وقال القائل

سرور الناس فى لبس اللباس * وجمع العلم فى ترك النعاس

وقال بعضهم

أليس من الخسران ان لياليا * تمر بلا نفع وتحسب من عمرى

(وقال آخر)

قم الليل يا هذا لعلك ترشد * الى كم تنام الليل والعمر ينفد

والنوم عريانا والبول عريانا والاكل جنبا والاكل متكئا على جنب والتهاون بسقاطة المائدة وحرق قشر البصل والثوم وكنس البيت بالمنديل وكنس البيت فى الليل وترك القمامة فى البيت والمشى قدام المشايخ ونداء الابوين باسمهما والخلال بكل خشبة وغسل اليد بالطين والتراب والجلوس على العتبة والاتكاء على أحد زوجى الباب والتوضوء فى المبرز وخياطة الثوب على بدنه وتجفيف الوجه بالثوب وترك بيت العنكبوت فى البيت والتهاون بالصلاة واسراع الخروج من المسجد بعد صلاة الفجر والابتكار بالذهاب الى السوق والابطاء فى الرجوع منه وشراء كسيرات الخبز من الفقراء والسؤال ودعاء الشر على الولد وترك تخمير الاوانى واطفاء السراج بالنفس كل ذلك يورث الفقر عرف ذلك بالآثار وكذا الكتابة بالقلم المعقود والامتشاط بمشط منكسر وترك الدعاء بالخير للوالدين والتعمم قاعدا والتسرول قائما والبخل والتقتير والاسراف والكسل والتوانى والتهاون فى

الامور كل ذلك يورث الفقر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استنزلوا الرزق بالصدقة والبكور مبارك ثم يزيد في جميع النعم خصوصا في الرزق وحسن الخط من مفاتيح الرزق وبسط الوجه وطيب الكلام يزيد في الحفظ والرزق وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما كنس الفناء وغسل الاناء مجلبة للغنى واقوى الاسباب الجالبة المحصلة للرزق اقامة الصلاة بالتعظيم والخشوع وتعديل الاركان وسائر واجباتها وسننها وآدابها وصلاة الضحى في ذلك معروفة مشهورة وقراءة سورة الواقعة خصوصا بالليل وقت النوم وقراءة سورة الملك والمزمل والليل اذا يغشى وألم نشرح لك وحضور المسجد قبل الأذان والمداومة على الطهارة وأداء سنة الفجر والوتر في البيت وأن لا يتكلم بكلام الدنيا بعد الوتر ولا يكثر مجالسة النساء الا عند الحاجة وأن لا يتكلم بكلام لغو غير مفيد لدينه ودنياه وقيل من اشتغل بما لا يعنيه يفوته ما يعنيه قال بزرجمهر اذا رأيت الرجل يكثر الكلام فاستيقن بجنونه قال علي كرم الله وجهه اذا تم العقل نقص الكلام وقال المصنف اتفق لي في هذا المعنى

اذا تم عقل المرء قل كلامه * وأيقن بحمق المرء ان كان مكثرا

(وقال آخر)

النطق زين والسكوت سلامة * فاذا نطقت فلا تكن مكثارا
ما ان ندمت على سكوت مرة * ولقد ندمت على الكلام مرارا

ومما يزيد في الرزق أن يقول كل يوم بعد انشقاق الفجر الى كل وقت الصلاة سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه مائة مرة أن يقول لا اله الا الله الملك الحق المبين كل يوم صباحا ومساء مائة مرة وأن يقول بعد صلاة الفجر كل يوم الحمد لله وسبحان الله ولا اله الا الله ثلاثا وثلاثين مرة و بعد صلاة المغرب ايضا و يستغفر الله تعالى سبعين مرة بعد صلاة الفجر و يكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم و يقول يوم الجمعة سبعين مرة اللهم اغنني بحلالك عن حرامك واكفني بفضلك عمن سواك و يقول هذا الثناء كل يوم وليلة أنت الله العزيز الحكيم أنت الله الملك

القدوس أنت الله الحليم الكريم أنت الله خالق الخير والشر أنت الله خالق الجنة والنار عالم الغيب والشهادة عالم السر واخفى أنت الله الكبير المتعال أنت الله خالق كل شيء واليه يعود كل شيء أنت الله ديان يوم الدين لم تزل ولا تزال أنت الله لا اله الا أنت أنت الله الاحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أنت الله لا اله الا أنت الرحمن الرحيم أنت الله لا اله الا أنت الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر لا اله الا أنت الله الخالق البارىء المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم * ومما يزيد في العمر البر وترك الاذى وتوقير الشيوخ وصلة الرحم وأن يقول حين يصبح و يمسي كل يوم ثلاث مرات سبحان الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش ولا اله الا الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش والله أكبر ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش وأن يحترز عن قطع الاشجار الرطبة الا عند الضرورة واسباغ الوضوء والصلاة بالتعظيم والقران بين الحج والعمرة وحفظ الصحبه ولا بد من أن يتعلم شيأ من الطب و يتبرك بالآثار الواردة في الطب الذي جمعه الشيخ الامام أبو العباس المستغفري رضي الله عنه في كتابه المسمى بطب النبي صلى الله عليه وسلم يجده من يطلبه والحمد لله على التمام * وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الرسل الكرام * وآله وصحبه الائمة الاعلام * على ممر الدهور وتعاقب الايام آمين

﴿ فهرست كتاب تعليم المتعلم ﴾

(تم الفهرست)